مجلة الحوار الفكري
مجلد: 18عدد: 01 السنة 2024
ISSN: 1112-5144
EISSN :2600-6332

اللغة العربية كأداة التواصل بين سلاطين كَنُو والمستعمرين البريطانيين 1900 – 1960م

الدكتور / عثمان أبو بكر معاذ، قسم اللغات، جامعة يوسف ميتما سلي، كَنُو – نيجيريا، dankoki19@gmail.com

تاريخ الارسال: 2024/11/17 **تاريخ القبول: 2024/11/28** **تاريخ النشر: 2025/01/06**

الملخص:

هذا المقال بعنوان " اللغة العربية كأداة التواصل بين سلاطين كَنُو والمستعمرين البريطانيين 1900 – 1960م" يتحدث عن أصالة اللغة العربية في بلاد الهوسا قبل اللغة الإنجليزية، ويتتبع الرسائل المتداولة خلال عهد الاستعمار البريطاني للبلاد، والتي كانت مكتوبة باللغة العربية، وذلك ليبرز قيمتها اللغوية والتاريخية، ويثبت من خلالها أقدمية اللغة العربية في هذه البلاد. يهدف هذا المقال إلى تتبع الرسائل العربية التي دارت بين المستعمرين البريطانيين وسلاطين كَنُو ليثبت من خلالها أن اللغة العربية هي لغة الدولة ولغة التبادل الرسائلي قبل وخلال عهد الاستعمار. وتظهر أهمية هذا المقال في أنه يورد مخطوطات من الرسائل المتبادلة بين المستعمرين البريطانيين وسلاطين كَنُو، ثم يحللها تحليلا لغويا يبرز ما لها من القيمة التاريخية واللغوية، فهي رسائل ذات طابع حضاري يلمح من خلالها الارتباطات والعلاقات الثقافية التي تجمع بين سلاطين كَنُو وغيرهم. وينتهج هذا المقال المنهج الوصفي مستعينا بالمنهج التاريخي بغية تتبع الآثار والوثائق التي تؤرّخ عن أقدمية اللغة العربية في بلاد الهوسا، ذلك لأجل الإجابة تساؤلات تتردد لدى الباحثين عن مدى أقدمية اللغة العربية في بلاد الهوسا ومدينة كنو على وجه التحديد، وعن التراث الرسائلي العربي الذي يشهد لذلك، وعن مدى تأثّر المستعمرين البريطانيين به، كل ذلك ليصل المقال أخيرا إلى نتائج تُثبت أقدميّة اللغة العربية في بلاد الهوسا، وتشير إلى العلاقات الخارجية بين مدينة كَنُو والدول العربية الأخرى من خلال هذا التراث الرسائلي.

الكلمات المفتاحية : اللغة العربية، الهوسا ، الاستعمار، الوثائق

Abstract

This paper titled Arabic Language as a means of inter/intra communication between

the emirs of Kano and British Colonialists'.

The paper discusses Arabic Language situation and its condition a selected number of official letters of the Northern part of this country and beyond during the colonial period to show the historical and linguistic value of the letters as well as extent of haw the Arabic language was widely used in all kinds of Sharia cases among the people of all classes and haw Islamic culture influenced this country in general.

The writing of Hausa or Arabic was by using the Arabic script but the intended meaning was either Arabic or in Hausa before the coming of the British colonialists. The colonialist changed the Arabic script and replace it with the Latin writing system which at last had very negative impact on learning of Arabic and reading of the Qur`an. The learning in Arabic and reading of the Qur`an become restricted to only few ulama in few Islamic schools.

key words: Arabic Language . Hausa . colonialists . script

مقدمة

تتبوء اللغة العربية مكانة عظيمة في نيجيريا؛ لأنه يرجع تاريخ الاندفاع الحقيقي للعرب في نيجيريا منذ دخول الإسلام، وإن كانت اللغة العربية معروفة في بعض شعوب إفريقيا قبل الإسلام.

وتتخذ اللغة العربية مكانة عالية لدى العلماء والسلاطين في بلاد الهوسا منذ أمد بعيد؛ حيث استخدموها في مراسلاتهم، واتخذتها الدولة أداة التواصل بينها وبين الدول الأخرى، والوافدين إليها من العرب والعجم؛ فأصبحت العربية اللغةَ الرسميةَ، ولغةَ المراسلات بين العلماء والأمراء.

وبعد اكتشاف البريطانيين لنهر النيجر وروافده، أنشأوا طريقا للتوغل من سواحل نيجيريا على المحيط الأطلسي إلى داخل مجرى النيجر، ثم ضمّوا مدينة لَاغُوسْ إلى ممتلكاتهم، أعلنت بريطانيا قيام محمية نيجيريا الشمالية عام 1900م وعينت فرِدرِيكْ لُوغارِدْ مندوبا ساميا لها على تلك المحمية، وتم احتلال سُوكُوتُو وكَنُو عام 1903م، وبَرْنُو عام 1906م، ثم جمعت بريطانيا عام 1914م تحت سلطة لُوغارِدْ.] باري2007: 159[

أشار كثير من مؤرخي الأدب العربي النيجيري – أمثال الإلوري (1993) في الإسلام في نيجيريا وعلي أبوبكر (1982)في كتابه الثقافة العربية، وغلادنثي (1993)في حركة اللغة العربية، – إلى حالة اللغة العربية في عهد الاستعمار البريطاني لنيجيريا، وذكروا مكانتها قبل مجيء المستعمرين، وأوردوا نماذج من النتاج الثقافي في هذه الفترة، إلا أنهم أغفلوا جانب التواصل بين المستعمرين

ISSN: 1112-5144
EISSN :2600-6332

وسلاطين الهوسا، ولم يلقوا بالًا بمراسلات ذلك العهد ولا باللغة العربية على أنها لغة الدولة وأداة التواصل.

أما محمد الثاني خامس درما فقد جمع عددا من الرسائل العربية في بلاد الهوسا وحللها شكلا ومضمونا، وهي تتراوح بين رسائل التهاني، ورسائل التعزية، ورسائل الشكر والتقدير، ورسائل الاسترضاء والاستعطاف، والاعتذار والشكوى، والشؤون الإدارية. إلا أنه لم يصقل بحثه بالنماذج، ولم يلق بالا بالرسائل المتبادلة بين المستعمرين وسلاطين الهوسا.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الأضواء على حالة اللغة العربية في عهد الاستعمار البريطاني لشمال نيجيريا على أنها لغة التواصل والمراسلات بين السلاطين، لتقف عند القيمة اللغوية والتاريخية لهذه الرسائل ، كما أنه من خلال هذه الرسائل يُكتشف عن المستوى الذي تحتله اللغة العربية في هذه البلاد خلال تلك الفترة.

ويحاول المقال حلّ إشكالية تردد عليها الباحثون كثيرا تستجوب عن مستوى اللغة العربية ومدى انتشارها في بلاد الهوسا خلال فترة الاستعمار البريطاني، وعن كونها أداة المراسلات بين المستعمرين والأمراء، وعن الوثائق والمخطوطات العربية التي تؤرخ لكل ذلك.

وينتهج هذا المقال المنهج التاريخي بغية تتبع الآثار والوثائق التي تؤرّخ عن أولية اللغة العربية في بلاد الهوسا، كل ذلك من خلال النقاط التالية :

- نبذة عن دولة نيجيريا ومدينة كنو.
- اللغة العربية في نيجيريا.
- التبادل الرسائلي بين المستعمرين وسلاطين كَنُو.
- الخاتمة.
- المراجع.
- الملاحق.

نبذة عن دولة نيجيريا ومدينة كنو

دولة نيجيريا هي ذلك القطر الفسيح الذي يقع في غربي أفريقيا جنوبي الصحراء، يرتبط لفظ نيجيريا باسم نهر النيجر، وكانت تتألف في القديم من أقاليم إدارية خاصة، تغطي جميع جوانبها، وهي :

نيجيريا الشمالية وعاصمتها كَدُونَا Kaduna ، ونيجيريا الشرقية وعاصمتها إِينُوجُو Enugu ، ونيجيريا الغربية وعاصمتها إِبَادَنIbadan .[1]

أما مدينة كنو فتعتبر من أشهر إمارات الهوسا قديما وحديثا، وقد رزقها الله تعالى الكثير من المآثر والآلاء؛ وتتمتع بالعراقة والرقي العلمي منذ أمد بعيد، ويشير أبوبكر دُكَاجِي إلى أن تاريخ تأسيسها يعود إلى عهد بعيد لا يزال محلّ خلاف بين المؤرخين.[2]

وقد شهد تاريخ كَنُو عددا من السلاطين الهوسويين والفلانيين، الذين حكموها في فترات زمنية مختلفة، ابتداءً من أسرة بَغَوْدَا بن باوُو بن أبي يزيد التي حكمت كَنُو نحو مائة وأربعين عاما، ثم أسرة رُمْفَا، فأسرة كُتُمبَاوَا، ثم أسرة إبراهيم دَابُو.[3]

اللغة العربية في نيجيريا

إن أولية اللغة العربية في نيجيريا يعود إلى وقت مبكر جدا، وذلك قبل دخول الإسلام فيها بوقت مديدٍ بعض الشيء؛ حيث كانت هناك صلة وثيقة تربط شمالي أفريقيا وغربيها "قبل القرن السابع الميلادي، أي قبل دخول الإسلام في القارة الإفريقية"[4] وبهذا الأسلوب يحكي علي أبوبكر[5] قول الرحّالة الفرنسي بارثBarth :" أنها – العلاقة بين شمالي أفريقيا وغربيها– أقدم من كل ما يتصور"
يبدو من الطرح السابق أن الاهتمام بتعليم اللغة العربية وتعلّمها في القطر النيجيري بدأ منذ دخول الاسلام فيه، وساعد في انتشارها ما أقيم في نيجيريا من الحركات الإصلاحية في نيجيريا من قبل العلماء والإصلاحيين أمثال الشيخ عثمان بن فودي، كثير غيرهم من العلماء الذين عاشوا في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديَين.
ومما يذكر في هذا الصدد أن الشيخ عثمان بن فودي وجماعته بعد انتصارهم على مماليك الهوسا جعلوا اللغة العربية لغة رسمية تستخدم في الدوائر الحكومية والأمور القضائية، على ما يحكيه عيسى ألبي[6] من أنه شهد هذا العصر – العصر الفودي - إنتاجات شعرية ونثرية قيّمة تعبر عن مستوى هؤلاء العلماء العلمي والأدبي والثقافي.

ومن جراء ذلك أُسّست المعاهد العلمية، تتبنى اللغة العربية كلغة التدريس فيها، وهي عبارة عن حجرة في منزل الشيخ يجلس فيها، وقد تكون كبيرة أو صغيرة حسب إمكانيات صاحبها، وقد تكون مفروشة بحصير أو فراء، وقد لا يكون هناك فراش إلا في مجلس الشيخ وحده... ولا يشترط في الشيخ الذي

[1] محمد لواء الدين أحمد 2009: الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، بيروت: دار الكتب العلمية.ص 19

[2] Abubakar Dokaji, Kano ta Dabo ci gari (Zaria, Gaskia Corp, 1978)pg 5

[3] آدم عبد الله الإلوري 1992: الإسلام في نيجيريا، بدو ذكر معلومات النشر. ص 41

[4] شيخو أحمد سعيد غلادنثي 1993: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، بدو ذكر معلومات النشر. ص 17

[5] علي أبوبكر 1982: الثقافة العربية في نيجيريا، القاهرة: دار الطلائع. ص 15

[6] آدم عبد الله الإلوري 1992: الإسلام في نيجيريا، مرجع سابق

يلقي الدروس أن يتحصّل على إجازات في المواد التي نصب نفسه لتدريسها، ويكفيه أنه واثق بنفسه وقدرته في تدريسها، لأنه درَسَها عن الطريقة التقليدية.[1]
أما القرن العشرين الميلادي فمان نقطة الانقلاب الثقافي لنيجيريا الشمالية واللغة العربية؛ حيث جاء الاستعمار البريطاني ليعوّق المسلمين في نيجيريا عن دراسة اللغة العربية، وعمل جاهدا في حلّ اللغة الإنجليزية محلّ اللغة العربية، "فأصبح من يعرفها – اللغة الإنجليزية - سيدا مطاعا، فطلع سعدهم وغرب سعد غيرهم وكسدت تجارته حين ربحت تجارتهم فانساق الناس وراء لغتهم وآدبهم"[2]

وفي هذا الأثناء ظهرت نخبة طيبة من علماء هذه البلاد لحماية اللغة وإنعاشها من جديد, فأسسوا المراكز والمعاهد لتعليم الأجيال اللغة والدين، وألفوا الكتب وخطبوا في المساجد بالعربية الفصيحة جاعلين قضايا الساعة موضوعات خطبهم، منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ آدم عبد الله الإلورى،والشيخ محمد ناصر كبرا في كَنُو، والوزير جنيد بن غطاط في صكتو، والشيخ إبراهيم صالح في ميدغورى.
ومهما يكن من أمر فقد ظلت اللغة العربية لغة رسمية ولغة التبادل الرسائلي بين سلاطين الهوسا والمواطنين البريطانيين، ولم تَغرب في ساحة التواصل دفعة واحدة إلا التبادل الرسائلي بين المستعمرين وسلاطين كَنُو
يرجع تاريخ علاقة بريطانيا بسواحل الإفريقية الغربية على ما يشير إليه لواء الدين[3] إلى أوائل القرن السادس عشر الميلادي، وكانت هناك شركات تجارية بريطانية قبل ختام القرن تزاول نشاطها في غرب إفريقيا، وكانت لها مراكز تجارية في المنطقة حتى الثمانينيات من القرن الثامن عشر.

وهكذا توغّل البريطانيون في أرجاء نيجيريا، حتى ظل ساحل نيجيريا الجنوبي تحت إشراف بريطانيا بهدف ضمان التجارة البريطانية،

وقد تقطّن المستعمرون البريطانيون بلادَ الهوسا منذ سنة 1899م وشملت من سُوكُوتُو في أقصى الشمال الشرقي حتى بُورنُو بجانب إقليم تشاد، ولكن وقوف بعض أمراء الشمال مثل : كَنُو وكَشِنَه وعدم خضوعهم لأية محاولات بريطانيا أقعد البريطانيين رسدهم، وجعلهم يبحثون عن خطوات حربية أخرى انتهت بإخضاع كل أمراء الشمال سنة 1906م.[4]

وبهذا المقتضى أصبح البريطانيون يباشرون السلطات السياسية والإدارية وحتى الاجتماعية على إقليم شمال نيجيريا عن طريق رسائل مكتوبة تبادلوها السلاطين والقضاة، على نحو ما يلحظ في النماذج الآتية :

[1] علي أبوبكر 1982: مرجع سابق، ص 155
[2] آدم عبد الله الإلوري 1992: مرجع سابق، ص 66
[3] محمد لواء الدين أحمد 2009: مرجع سابق، ص 169
[4] يوسو منكيلا 2009: الأدب العربي في النيجر ومؤثرات الاستعمار الفرنسي في مجرى تطوره، طرابلس ، كلية الدعوة الإسلامية، رسالة دكتوراه.

ISSN: 1112-5144
EISSN :2600-6332

الرسالة الأولى : من الرزدنت إلى قاضي كَنُو جعفر

نص الرسالة :

الحمد لله وحده

من الرزدنت تحية وسلام إلى قاضي كَنُو جعفر أما بعد فهاك إليك إعلام لك أن لِبْرَا من أبواب طَنعَغُنْدِ المسمى طَنْسُكّتُوا لتطلب وراث مات في كَزَوْرِيْ [1]وترك ستة سِلَيْ وثُفَافِيْ في 18 دجنبر سنة 1924

بنية العمق :

هذه الرسالة هي الأخرى ضمن الرسائل التي تبادل بها المستعمرون البريطانيون المواطنين الهويويين، كتبت سنة ألف تسعمائة أربع وعشرون ميلادية، وهي رسالة إعلام وإرشاد، وجهها الرزدنت إلى قاضي كَنُو يرشده إلى أمور قضائية ويأمره بأشياء تتفق مع ميولاته الخاصة، وهي تتعرض لقضية تركة خلفها ميت من مواطني كَنُو، توفي في كَزَوْرِيْ وترك تراثا من الأموال والملابس.
بدأ الرزدنت رسالته بالحمدلة والتحية تماشيا مع العرف السائد في الرسائل العربية المتداولة في هذه الفترة، كما أنها توحي بالحيلة والخدعة التي تبنّاها المستعمرون ابتغاء الوصول إلى مقاصدهم.
وبعد المقدمة، شرع الرزدنت يرسم للقاضي الخطة الحكمية التي يجبره متابعتها والسير على منوالها، ففي هذا إشعار بحالة القضاء والمحاكم في تلك الفترة وأن القضاة يحكمون بما أمرهم المستعمر به.

بنية الشكل :

تظهر هذه الرسالة في شكلها لترسم السلطة القيادية التي يمتلكها المستعمر؛ حيث كان الناس تبعا للسلاطين والقضاة، في حين أن السلاطين أنفسهم يتلقون الإرشاد والحكم من الرزدنت، فالمستعمرون إذًا هم السلاطين من وراء الستار.

وبما أن هذه الرسالة ردّ عن طلب أرسل إلى الرزدنت جاءت في موجزة، وبعبارات بسيطة، مع احتواءٍ على العناصر المعهودة في الرسالة :

- الحمدلة؛ ابتدأها بالحمدلة دون البسملة والصلاة على النبي لأن المستعمرين – كما هو معروف – يدينون بالمسيحية ويدعون إليها.
- ذكر المرسِل كما يُلمح في أعلى الصفحة. (من الرزدنت)
- مخاطبة المرسل إليه. (إلى قاضي كَنُو جعفر)
- التحية الافتتاحية. (تحية وسلام)

[1] من أعمال محافظات ولاية كَنُو القديمة، تقع الآن في ولاية جِغَاوا

ISSN: 1112-5144
EISSN :2600-6332

- موضوع الرسالة. (دخل في الموضوع رأسا دون الإشارة إلى الغرض من كتابة الرسالة)
- التوقيع أو التاريخ. التوقيع مع التاريخ بارز في أسفل الصفحة.

وعلى المستوى الأسلوبي فهذه الرسالة تمثّل ثقافة لغوية اتخذها المستعمرون وأجبرو أنفسهم معايشتها، ذلك لأنهم وجدوا البيئة الهوسوية بيئة عربية هيكلها الإداري وتبادلها الرسمي، لذلك لم يجدوا مناصا إلا السير على ذلك النمط.

والرسالة – على الرغم من ضعف مستواها اللغوي – تتميز بالبساطة والوجازة في التعبير، فعبارتها واضحة تدرك من الوهلة الأولى، حيث استُخدم فيها ألفاظ عربية مستعملة، وإن كانت تجنح إلى استخدام ألفاظ أعجمية، ولعل يرجع ذلك إلى قلة محصولهم اللغوي العربي، فاضطروا إلى إيراد كلمة " تفافي " دون " اللباس "

وعلى الرغم من بساطة تعابير هذه الرسالة

ومما يشار إليه أن هذه الرسالة تمثّل زاوية تواصلية تحلّق فيها المستعمرون والقضاة مع السلاطين لتخلد للعصور اللاحقة أسلوب القضاء في المحاكم وطريقة القسمة بين الوارثين، فكان منذ ذلك الزمن على عاتق ولاة الأمر من السلاطين والقضاة.

الرسالة الثانية : من أمير كَنُو عبد الله بايرو إلى الرزدنت :

نصّ الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على النبي الكريم

إنه من أمير كَنُو الحاج عبد الله بايرو إلى الرزدنت التحية والإعلام، أما بعد فاعلم أننا سألنا قاضي قِرُو[1] عمر عن إجارة طَنْغُورَى[2] فأي شيء يأخذون من قِرُو إلى طَنْغُورَى، وأيضا فما يأخذون إن جاؤوا طَنْغُورَى، فكتب إلينا أن إجارة طَنْغُورَى من قِرُو سُلَيْ[3] واحد يأخذون إن جاؤوا طَنْغُورَى، كما وجد قاضي قِرُو عثمان الميت يأخذ ذلك. ولما قرأنا براوته وسمعنا أن ما يفعله ليس صواب، كتبنا إليه براوة وزجرنا فيها عن ما يفعل ثم أعلمناه من اليوم أن ما يأخذون من الإجارة إن نزل بطنغورا كُبُو[4] وما أحاطها من البدوات تَرُو[5] كما يفعل ذلك بداخل قِرُو لأن إجارة داخل قِرُو كُبُو واحد وبداوتها تَرُو هكذا كل بلد كان فيه قاض من قضاة البدو إجارته كُبُو وما حوله تَرُو.

[1] إحدى الحكومات المحلية بكَنُو، تحدها قَارَايي، وكَبُو، ومَدُوبِي، وبِيبِيجِي.
[2] قرية من قرى محلية قِرُو
[3] عملة نيجيرية استعملت في القديم تساوي عشر نير واحد.
[4] عملة نيجيرية استعملت في القديم تساوي عشر سُلي
[5] عملة نيجيرية استعملت في القديم تساوي عشر كُبُو

وقد أمرنا أيضا أن يكتب لنا إجارة طَنغُورى من داخلها إلى كل بلد من بلاد قرو كما كتب ذلك من قِرو إلى كل بلد لنرى ذلك ونثبت ما هو الصواب.

بنية العمق :

هذه الرسالة من ضمن الرسائل التي تبادل بها أمير كَنُو عبد الله بايرو المستعمرين البريطانيين، كتبت سنة 1925ميلادية على ما هو مكتوب في النسخة المخطوطة، وهي تتناول موضوعا إجتماعيا يمسّ الإدارة الحكومية، ومسألة ضبط أسعارتنقلات، كما تكشف لنا هذه الرسالة عن الحالة الاقتصادية لهذه البلاد وما استعملوه من العملات في شؤونهم التجارية. وتطلعنا كذلك على سعة ثقافة أمير كَنُو عبد الله بايرو الملكيّة.

بدأ الأمير عبد الله بايرو رسالته بالبسملة والصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – وفي هذا إشعار بالتمسك بتعاليم الإسلام وانشاره في هذا البلاد.

وبعد التحية وبيان موضوع الرسالة؛ ذكر الخطوط العريضة للإجارة في البلدان والقرى المحيطة بمدينة كَنُو والتي تعد من أراضي كَنُو وتحت سلطنة أميرها، كما أن الرسالة تعطينا فكرة عن الحالة الاجتماعية والسياسية التي عايشتها ولاية كَنُو في تلك الآونة، فضلا عن إثبات العلاقة الدبلوماسية بين سلاطين الهوسا والمستعمرين البريطانيين.

وقد رسمت هذه الرسالة خطى واسعة لدفع المظالم، حيث جسّد الأمير شكاوى أهل قِرُو وما جاورها من البلدان، ولعل المستعمرين استبصروا عن ذلك في مراسلاتهم معه، فبين لهم موقفه من ذلك.

ومما يشار إليه في هذا الصدد أن للقضاء مكانة عظيمة بين المواطنين منذ ذلك الحين، حيث إن الناس تبع للقضاة والأمراء في مراعاة أمرهم، لذلك نجد في هذه الرسالة تأكيدًا على مَنْح مزيدٍ من التفويض للقضاة، فالأمير عبد الله بايرو يوكّل إلى القاضي متابعة أسعار الإجارة في ما يجاورهم من الجهات، ويسطّر لهم ما ينبغي أن يتوفر فيهم من شروط الثقة والأمانة، وفي ذلك تلميح وردّ على كل قاض متطاول لا يؤدي الأمانة.

وقد أخلدت هذه الرسالة أسماء المواطن التي تقطنها أهل هذه البلاد، كما أخلدت أسماء العملات التي استعملت في ذلك الحين، فهذا دون شك وثيقة تؤرّخ لقدم هذه العملات وقيمتها الاقتصادية.

بنية الشكل :

يظهر أمير كَنُو عبد الله بايرو في صورة رئيس يتولى رعاية قومه، ويراسل عماله بطريقة عرفية، فجاءت الرسالة على الشكل المطلوب؛ حيث احتوت على عناصر الرسالة الإدارية المتعارف عليها اليوم:

- البسملة والصلاة على رسول الله، ومؤرخة كما هو ظاهر على الصك في أعلى الصفحة.
- ذكر المرسِل كما يُلمح في أعلى الصفحة. (من أمير كَنُو الحاج عبد الله بايرو)
- مخاطبة المرسل إليه. (إلى الرزدنت)
- التحية الافتتاحية. (التحية والإعلام)
- موضوع الرسالة. (فاعلم أننا سألنا قاضي قِرُو....)
- التوقيع أو الختم. والختم بارز في أعلى الصفحة.

وعلى المستوى الأسلوبي فهذه الرسالة تمثّل ثقافة لغوية عايشها الجيل السابق في هذه البلاد، وهي وإن طرأ عليها بعض الأخطاء من ناحية التركيب (مثل قوله : ليس صواب، بدلا من : ليس صوابا) إلا أنها مع هذا وذاك تتمتع بأسلوب تعبيري جيد، وترقى إلى مستوى لغوي رفيع.

ومن ناحية أخرى، فقد ضمن الكاتب رسالته هذه ألفاظا سهلة خدمةً للغرض المقصود، وتسهيلا للفهم، ولعلّ مردّ ذلك أنه يوجه رسالته إلى المستعمرين البريطانيين، وهم حديثو العهد باللغة العربية.

ومما يُلحظ في لغة هذه الرسالة أنها خالية من الكلمات الوحشية، والألفاظ الغريبة إلا ما طرأ عليها بلا شعور، مثل كلمة " بروة " [1] فقد جاءت غامضة في السياق تفتقد الدقة، إلا أنه نظرا إلى الزمن الذي كتبت الرسالة، والذي كانت وسائل المعرفة فيه قليلة إلى حدّ ما، وبكل وجازة ينبغي أن يقال إنها مبادرة لا بأس بها في هذا المجال، ووثيقة ثابتة تربط بين الماضي والحاضر من هذه الناحية.

الرسالة الثالثة : من الرزدنت إلى قاضي كَنُو جعفر

نص الرسالة :

من الرزدنت إلى قاضي كَنُو جعفر أما بعد إعلام لك أن جواب كِنْبِر مع زوجته حواء الذين[2] دَانِيَ يقول حمله في نفسها وقال إنه كذب فاعلم حقيقة اعلم أنهما كانا يتنازعهما عند كَنْتُومة وأنا أمرتك أن لا تفعل شيئا في هذا الكلام وتركها[3] عند سمعك هذا والسلام في 19 ينير عام 1925.

بنية العمق :

تعبر هذه الرسالة عن شعور الرزدنت بحادثة اجتماعية حدثت بين رجل من المواطنين يُدعى كِنْبِر وبين زوجته حواء، وجاء واحد يدّعي نسبة حملها إليه، فكتب الرزدنت هذه الرسالة إلى القاضي يأمره بالكف عن الحكم في هذه القضية لأسباب شخصية تجري وراء إرضاء المستعمرين.

[1] نحاتة من القلم
[2] في المخطوط بلام واحدة والصحيح باللامين للتثنية : اللذين.
[3] لعل المراد واتكرما، فعل أمر من ترك يترك.

بدأ الرزدنت بالحمدلة ثم ثنّى بالتحية والسلام على المرسَل إليه، ثم دخل في الموضوع رأسا دون مقدمة، فأوجز الحديث على ما هو معتاد في مثل هذه الرسائل التي تكون جوابا عن طلب أو استفسار يرسّل إليهم من قبل المحاكم الشرعية أو السلاطين.
هذه الرسالة على الرغم من أنها تتناول موضوعا اجتماعيا، إلا أنه يلمح فيها قوة القيادة من الرزدنت الذي تعتبر نفسه السلطان الأعلى للمواطنين، كما أن الرسالة تعطي فكرة عن الحياة الاجتماعية التي عايشتها البيئة الكَنُوية، وما يجري في المحاكم من الأحكام الزوجية، كما أرّخت الرسالة للأسماء الهوسوية التي استخدمها الهوسويون في تلك الفترة من مثل : " كِنْبِر - دَانِيَ "
بنية الشكل :

هذه الرسالة في بنيتها الشكلية لا تختلف عن الرسائل التي كتبت في تلك الفترة، فهي - كغيرها من رسائل المستعمرين البريطانيين - ترسم السلطة القيادية التي يتبنّاها المستعمرون؛ وما أجبروا الناس عليه من الطاعة العمياء لهم في الحق أو الباطل، لذلك نجدها في صورة موجزة وبعبارات بسيطة، لا تعقيد فيها ولا تصنّع، مع احتواءها على العناصر المعهودة في الرسالة :

- الحمدلة؛ ابتدأها بالحمدلة دون البسملة والصلاة على النبي لأن المستعمرين – كما هو معروف – يدينون بالمسيحية ويدعون إليها.
- ذكر المرسِل كما يُلمح في أعلى الصفحة. (من الرزدنت)
- مخاطبة المرسل إليه. (إلى قاضي كَنُو جعفر)
- التحية الافتتاحية. (تحية وسلام)
- موضوع الرسالة. (دخل في الموضوع رأسا بعد قوله : أما بعد)
- التوقيع أو التاريخ. التوقيع مع التاريخ بارز في أسفل الصفحة.

وعلى المستوى اللغوي فعبارات هذه الرسالة بسيطة بُنيت بألفاظ سهلة ذات دلالات واضحة، فهي مع ما وقع فيها من الأخطاء الإملائية المشار إليها، وما يعتريها من ضعف الترتيب في مثل : " فاعلم حقيقة اعلم " والأخطاء النحوية في مثل : " أنهما كانا يتنازعهما عند كَنْتُومة " تعبر عن المستوى اللغوي العربي الذي بلغه بذلك العهد، وأن اللغة العربية ما دام أنها هي لغة اللدولة لابد من استعمالها على أية حال.

الرسالة الرابعة : من القاضي إلى الرزدنت

نص الرسالة :

الحمد لله وحده

فمن قاضي قضاة كَنُو جعفر تحية وإعلام إلى رزدنت أما بعد فهاك بيان كلام تمُس سَابُن غَرِي[1] وزوجته فَاتِي إنه يطلب لها بنته ابنة إحدى عشر سنين[1] وقال إنه نكحها منذ ستتة عشر أعوام[2] وأنها

[1] من الأحياء المجاورة لمدينة كَنُو، تقع في ناجية الشرق

مسلمة وإنه غير مسلم، فسألها القاضي فقالت إنها في دين مختلف ولم يعقد النكاح بينها أصلا، فأنكر تمَسْ ذلك فقال قد يعقد النكاح بينهما في زاريا فسألناه أقواما شهدوا العقد فذكر جَمْسٍ وسِمِتْ فجاء فسألناه فقال إنه حاضر لما يعقد النكاح بينهما، ثم ذكر تمُس يحيى قد عرف العقد فجاء فسألناه فثبت هكذا كما قال جمس فهذا ثبتت شهادتهما فثبت العقد، ثم بعد ذلك ذكرت فاتي أنها تطلب نفقة ابنتها على تمُس فقال إنها جلست بيده سبع سنين فذكر ثَانِ غِيْوَا وحَضِرُ فجاء وسألنا ثَانِ غِيْوَا فشهد أنها جلست بيده سبع سنين فثبتت شهادته وأما حضرُ لم يشهد ثم ذكر جُسِبْ دِبْن فجاء فسألناه فشهد أنها إنها جلست بيده سبع سنين فثبتت شهادته. ثم بعد ذلك قالت فَاتِي إنها تطلب إجارة القراءة في كل شهر قضت تسع كُبُو الجملة إحدى فَم وستة سُلَي وأن كُوبَنْجُو هو الذي علمها فجاء فسألناه فثبت هكذا كما قالت ثم سألناها شهودا عرفوا أنها قضت إجازة القراءة فذكرت بِكْرُت فسألناه فثبت هكذا فقال تمُس لا يرضى بشهادته لأنه هو وليها فسألناه فثبت هكذا فخرج من الشهادة ولا شهود لها غيره. ثم أمرنا تمس بالحلف على أنه في علمه ما هي قضت ودع المدرسة وحمل ثم جعلنا البنت بيده ثم طلبناه بقضاء نفقة البنت التي أنفقتها فَاتِي فثبت عليه نفقة أربع سنين اثنى فَمْ ولأن ودعه ثلاث فَمْ ثبت على فَاتِي بين يدي شريعة سَابُن غَارِي فهذا أخرجهم من ودعه الذي يطلبهم عليها وبقي ودعه عليها إحدى فَمْ. والسلام في يوم الثلثاء في 2 ربيع الأول 1353 في 3 يوليه سنة 1934

بنية العمق :

تعد هذه الرسالة من أطول الرسائل التي تعرض لها هذا المقال بالدراسة، كتبها قاضي كَنُو جعفر إلى الرزدنت ليحيطه علما بها يجري في المحكمة من الحكم حول الشؤون الاجتماعية بين المسلمين والذميين من المسيحيين.

بدأ القاضي يتحليل موضوع الرسالة؛ حيث ذكر أنها جواب عن مسألة طرحها الرزدنت نفسه حول رجل يسمى تَمُس وزجه فَاتِي بعد أن افترقا وبينها بنت، فجاءت تطلب منه نفقتا لمدة دامت إحدى عشرة سنة.

وقد سلك القاضي في حكمه مسلكا متميزا معتمدا على الشهود من جهتي المتهّم والمتّهَم، ليكون حكمه بالقسط، وليرسم صورة واضحة تؤرخ عن الحالة الاجتماعية وطريقة التعايش السلمي بين المسلمين والذميين من المسيحين الذين استوطنوا مدينة كَنُو منذ ذلك الحين.

والرسالة من ناحية أخرى تعالج مسألة زواج المسلم بامرأة غير مسلمة والعكس، وهي من صميم القضايا التي شغلت بال المحاكم في هذه البلاد خلال تلك الفترة، ويظهر من خلال هذه الرسالة مدى تمازج الشعب الهوسوي بغيرهم من القبائل النيجيرية الأخر الأمر الذي أدى إلى الاختلاط في الأنساب والأديان.

[1] الصحيح أن يكون إحدى عشرة سنة
[2] الصحيح أن يكون: عاما

بنية الشكل :

والصورة الظاهرة لهذه الرسالة لا تختلف عن الرسائل المكتوبة في هذه الفترة، حيث إنها تحتفل بالعناصر المعهودة في الإنشاء الرسائلي، إضافة إلى سلامة اللغة، وسهولة التعابير، ودقة الفكر مع متانة الأسلوب. فهي كغيرها تحتوي على العناصر التالية :

- الحمدلة؛ ابتدأها بالحمدلة دون البسملة، ولعل مردّ ذلك أنها جواب عن طلب من الرزدنت .
- ذكر المرسِل كما يُلمح في أعلى الصفحة. (من قاضي قضاة كَنُو جعفر)
- مخاطبة المرسل إليه. (إلى رزدنت)
- التحية الافتتاحية. (تحية وإعلام)
- موضوع الرسالة. (أما بعد فهاك بيان كلام تمُس سَابُن غَرِي)
- التوقيع أو التاريخ. التاريخ بارز في أسفل الصفحة.

أما من الناحية اللغوية فقد اسطاع الكاتب أن يختار ألفاظا ملائمة برسائل المحاكم من مثل : " قضاء، شهود، الرضى " وغيرها، ليبنى بها عبارته البسيطة والتي تتسم بالإطناب رغبةً في إقناع المرسل إليه.

وشيء آخر يلحظ في البناء الشكلي لهذه الرسالة، أنها تخلو من ضعف التعبير وركاكة الأسلوب على ما يوجد في رسائل المستعمرين البريطانيين، وهذا يوضّح المستوى العلمي الذي وصل إليه القضاة في هذه المرحلة.

ما يوجد في الرسالة من الأخطاء النحوية التي أشار إليها المقال فلا تخرجها من دائرة الرسائل العربية الرصينة التي عُثر عليها في هذه الفترة، فهي مع هذا تخلد للبيئة الكَنُوية مجدا لغويا وقيمة علمية، وتؤرّخ للعلاقة التليدة التي بين شمال نيجيريا وجنوبها، فهي علاقة قديمة لا يمكن الانفصالها بأية حال من الأحوال.

الخاتمة

تناول هذا المقال الرسائل المتبادلة بين سلاطين مدينة كنو والمستعمرين البريطانيين إبّان الاحتلال، فأورد المقال أولا نبذة وجيزة عن جغرافية نيجيريا، ثم صورة تاريخية لمدينة كنو، وسلاطينها، وموقف اللغة العربية منهم، ثم عند الرسائل المتبادلة بين السلاطين والمستعمرين البريطانيين، ثم دراسة بنيتيها العميقة والسطحية، واستطاع المقال أن يصل أخيرا إلى النتائج التالية:

- تعتبر هذه الرسائل سجلًّا خالدا لـمُلك سلاطين كنو، كما أنها من طرف آخر خيرُ دليلٍ على ما وصل إليه مدينة كنو من النفوذ العلمي والثقافي.
- تشير هذه الرسائل إلى مدى انتشار اللغة العربية في بلاد الهوسا عموما وفي مدينة كنو على وجه التحديد إبان الاحتلال البريطاني لدولة نيجيريا.

- تركت هذه الرسائل آثارا فكرية عميقة في المحاكم الشرعية بمدينة كنو؛ حيث كان ولا زال في بلاط محلات حكميّة، ودوائر سلطانية تعنى بالقضاء وفصل الخصام.

وبهذا الخصوص يوصي الباحث الدارسين من بعده بأن يهتموا بتراثهم دراسة وتحقيقا؛ لأن فيه ما يخلّد ذكرهم.

المراجع :

1.آدم عبد الله إلوري 1992: الإسلام في نيجيريا، بدو ذكر معلومات النشر.
2.الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، القاهرة: مكتبة وهبة.
3.شيخو أحمد سعيد غلادنثي 1993: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، بدو ذكر معلومات النشر.
4. علي أبوبكر 1982: الثقافة العربية في نيجيريا، القاهرة: دار الطلائع.
5.محمد لواء الدين أحمد 2009: الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، بيروت: دار الكتب العلمية.
6.يوسو منكيلا 2009: الأدب العربي في النيجر ومؤثرات الاستعمار الفرنسي في مجرى تطوره، طرابلس ، كلية الدعوة الإسلامية، رسالة دكتوراه.
7.Abubakar Dokaji, Kano ta Dabo ci gari (Zaria, Gaskia Corp, 1978)pg 5
Oseghae, Eghosa E. Nigeria since Independence,London, 1998

ISSN: 1112-5144
EISSN :2600-6332

الملاحق

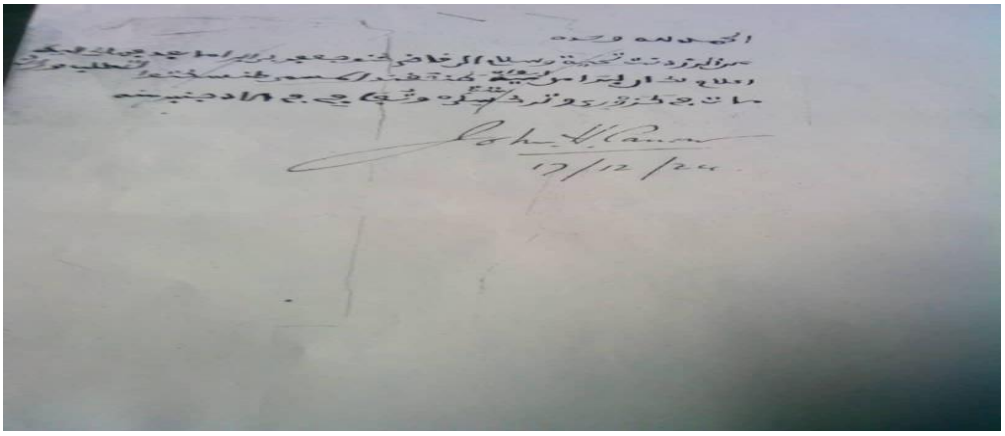

مخطوط الرسالة الأولى

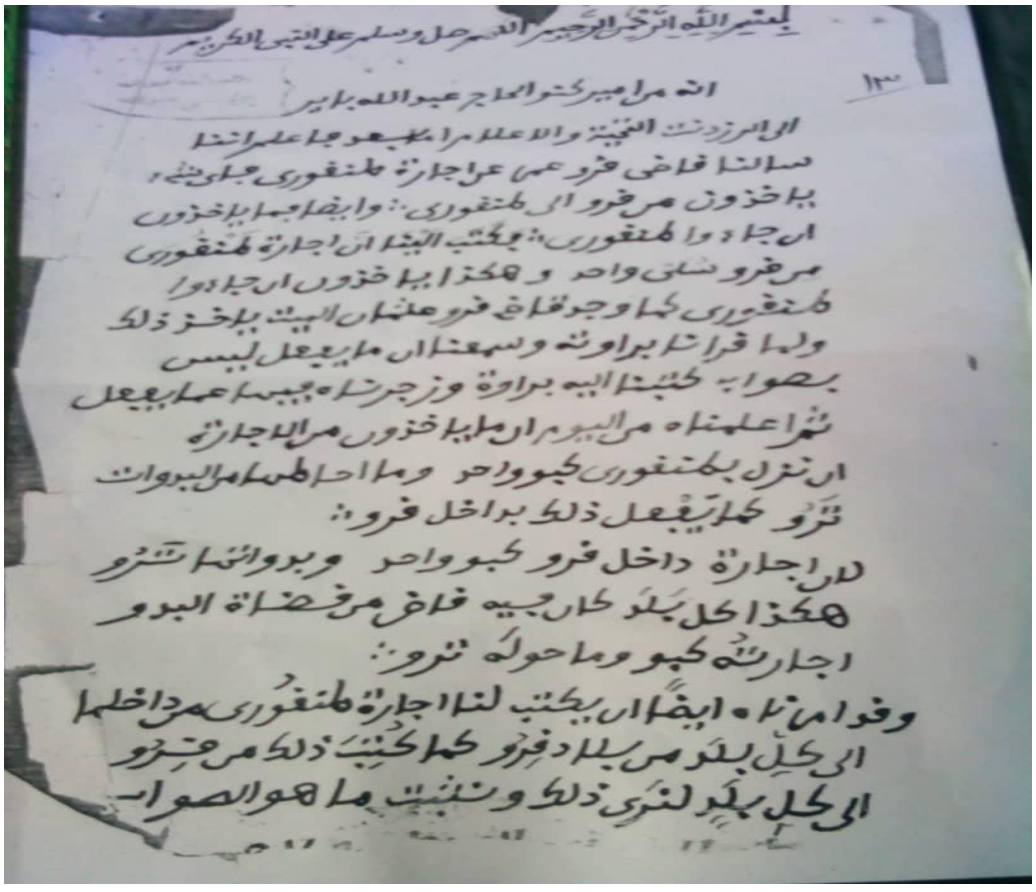

مخطوط الرسالة الثانية

ISSN: 1112-5144
EISSN :2600-6332

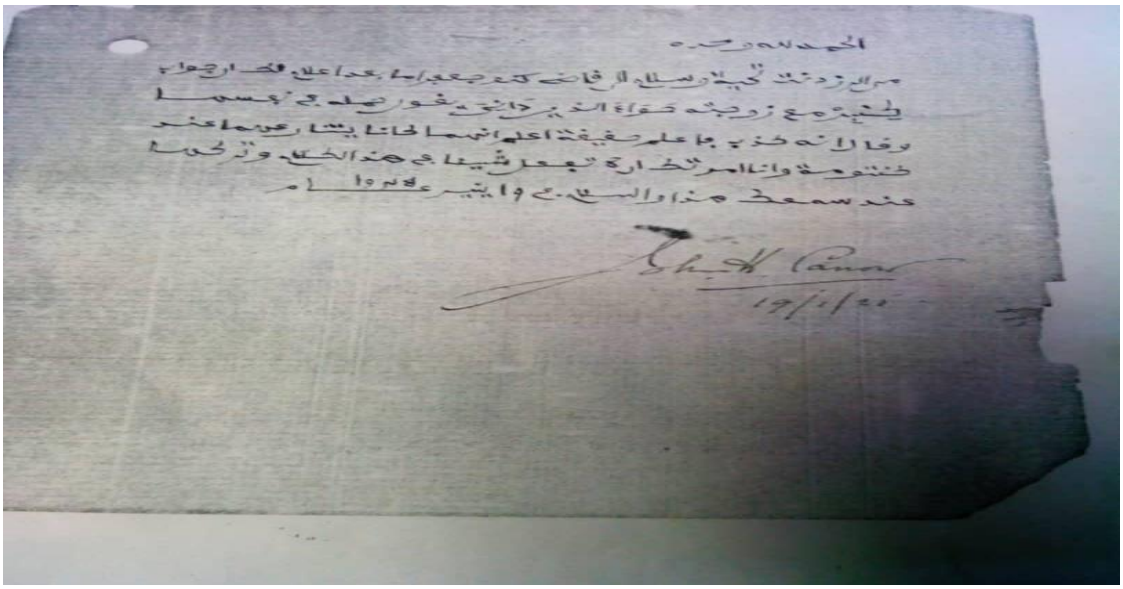

مخطوط الرسالة الثالثة

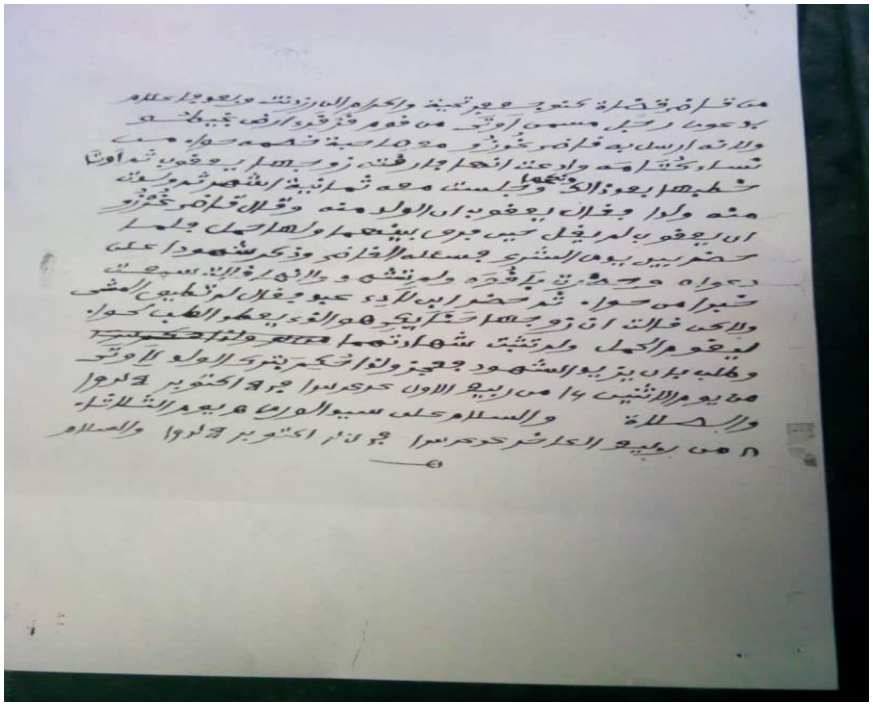

مخطوط الرسالة الرابعة